التصورات الشعبية عن اللغة العربية

مفاهيم، وقضايا، وحالات

مباحث لغوية ٣١

تحرير:

د. عقيل بن حامد الزماي الشمري
د. منصور بن مبارك ميغري

المشاركون:

د. منصور بن مبارك ميغري
د. عقيل بن حامد الزماي الشمري
أ.د. محمد صلاح الدين الشريف
د. أشرف عبدالحي
أ.د. منير التريكي
د. شكري السماوي
أ.د. رفيق عبدالحميد بن حمودة
د. فتحي بن محمد الجميل
أ.د. فواز محمد الراشد العبدالحق
أ.د. عبدالرحمن حسني أبو ملحم
د. محمود بن عبدالله المحمود
د. عبدالقادر سبيل
د. بيضاوي عبدالعظيم
د. وليد صالح الخليفة

مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي
لخدمة اللغة العربية
King Abdullah Bin Abdulaziz Int'l Center for
The Arabic Language

التصورات الشعبية عن اللغة العربية
مفاهيم، وقضايا، وحالات

الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧م

جميع الحقوق محفوظة

المملكة العربية السعودية - الرياض
ص.ب ١٢٥٠٠ الرياض ١١٤٧٣
هاتف:٠٠٩٦٦١١٢٥٨٧٢٦٨ - ٠٠٩٦٦١١٢٥٨١٠٨٢
البريد الإليكتروني: nashr@kaica.org.sa

ح/ مركز الملك عبدالله بن عبدالعزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، ١٤٣٨هـ.
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشمري ، عقيل بن حامد
التصورات الشعبية عن اللغة العربية: مفاهيم وقضايا وحالات./ عقيل بن حمد الشمري؛ منصور بن مبارك ميغري - الرياض، ١٤٣٨هـ
..ص؛ .. سم
ردمك: ٤-٤-٩٠٨٩٥-٦٠٣-٩٧٨
١- اللغة ٢-اللهجات أ. ميغري، مصور بن مبارك (مؤلف مشارك) ب.العنوان
ديوي ٤٠١ ١٤٣٨/٥٣٠٢
رقم الإيداع: ١٤٣٨/٥٣٠٢
ردمك: ٤-٤-٩٠٨٩٥-٦٠٣-٩٧٨

التصميم والإخراج

دار وجوه للنشر والتوزيع
Wojoah Publishing & Distribution House
www.wojoooh.com
المملكة العربية السعودية - الرياض
الهاتف:4562410 الفاكس:4561675
للتواصل والنشر:
info@wojoooh.com

لايسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو نقله في أي شكل أو وسيلة،
سواء أكانت إلكترونية أم يدوية أم ميكانيكية، بما في ذلك جميع أنواع تصوير المستندات بالنسخ، أو
التسجيل أو التخزين، أو أنظمة الاسترجاع، دون إذن خطي من المركز بذلك.

الفصل الحادي عشر

اللغة العربية بين المواقف الرسمية والتصورات الشعبية في إسبانيا

د.وليد صالح الخليفة (*)

1- تقديم

تروي لنا كتب التاريخ أن بوادر الجيش الإسلامي بزعامة القائد طارق بن زياد وطئت تراب شبه الجزيرة الإيبيرية لدى الصخرة التي عرفت فيما بعد باسم «جبل طارق» في شهر شعبان عام 92 للهجرة الموافق لشهر حزيران من سنة 711 ميلادية. وبعد أن أحرق السفن التي نقلت جيشه إلى تلك البقاع توجه ابن زياد بخطبته الشهيرة إلى جنوده والتي بدأها بقوله: «أيها الناس، أين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو أمامكم وليس لكم والله إلا الصدق والصبر...». بعدها تقدم جيشه بسهولة كبيرة لظروف يفصل المؤرخون في شرحها، فاستولى على المدن والأقاليم واحدا تلو الآخر ليبسط سيطرة المسلمين على الجزء الأكبر من شبه الجزيرة الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال الحاليتين) والتي عرفها العرب باسم الأندلس. وهكذا تمكنت الامبراطورية الإسلامية من نشر جناحها على هذا الجزء من جنوب أوروبا ليبدأ تاريخ جديد يمتاز بالتلاقح العرقي والثقافي واللغوي والديني والمعرفي.

كانت أعداد العرب في البداية قليلة مقارنة مع الإسبان والبربر ولم تكن العربية

* - جامعة أوتونوما بمدريد (إسبانيا)

هي اللغة السائدة حتى القرن التاسع حيث أخذ التعريب ينشر ظلاله على الميدان الاجتماعي والرسمي. أصبح المجتمع الأندلسي يجيد هذه اللغة إلى جانب اللغات المحلية وصارت العربية لغة المصالح الحكومية. وعلى الرغم من أن غالبية المجتمع آنذاك كانت تتحدث باللغات الرومانسية، فإن العربية عرفت تحولا تدريجيا لتكون لغة العلم والثقافة ووسيلة للإنتاج العلمي والأدبي. وقد عبّر عن هذه الحقيقة الكاتب القرطبي المسيحي «ألبارو دي كوردوبا» مبديا استياءه من انتشار العربية بين طبقة المتعلمين من أبناء الأندلس حيث قال: «الكثير من أخواننا في الدين يقرؤون الشعر والقصص العربية ويدرسون مؤلفات الفلاسفة والفقهاء المسلمين لا لدحضها، بل لتعلمها والتعبير بها لأن العربية أكثر دقة وأناقة» (Viguera، 2002، 47) وكان ثمرة ذلك الانتشار أن برز في القرن العاشر علماء ومؤرخون ولغويون عرب مسلمون مثل أبي علي القالي (901-967) وأبو بكر الزبيدي (928-989).

كان أبو علي القالي من خيرة من وفدوا إلى الأندلس؛ استقدمه عبدالرحمن الناصر لتأديب ابنه، وكان هذا الوافد قد تثقف ثقافة واسعة في المشرق، وأخذ كثيراً عن شيوخه وخاصة ابن دريد والأخفش، في وقت كان المشارقة قد قطعوا شوطاً بعيداً في جمع اللغة والشعر، كما صنع الأصمعي في أصمعياته والمفضل الضبي في مفضلياته. سكن القالي قرطبة وبها نشر علمه فلجأ إليه الناس فسمعوا منه وتأثروا به، وألف كتبا كثيرَة. «حمل القالي إلى الأندلس كثيراً من علم المشرق وأدبه كدواوين امرئ القيس وزهير والنابغة والخنساء والأخطل وجرير وغيرهم. هذا بالإضافة إلى كتب الأخبار واللغة، كما ألّف كثيراً في الدراسات اللغوية وأملى علي طلبته الأندلسيين كتابه الأمالي» (طاهري، 2012: 119).

وأبدع زرياب بدوره (789857) والذي استقبله الخليفة عبد الرحمن الثاني بقرطبة في ميادين شتى، في الموسيقى وآداب الطعام واللباس فأضاف الوتر الخامس على آلة العود ووسّع بذلك النوتات الموسيقية وأوجد نوعا من الغناء خاصا عرف بالطرب الأندلسي. كما أنه أدخل العديد من الممارسات الجديدة على عادات الطعام والشراب، فاستبدل شراشف موائد الطعام الجلدية بالمصنوعة من القماش، والكؤوس المعدنية للشرب بأخرى زجاجية، وعمل على تنظيم تقديم وجبات الطعام، فبدلا من تكديس مختلف الأطباق أمام الآكلين، أمر بتقديمها تباعا: الحساء والسلطات أولا، تليها أطباق اللحوم

والأسماك وتختتم بطبق الحلوى والفاكهة. وتحدثنا أخبار زرياب بأنه أول من قام بتزيين شعور النساء بتقصيرها ليظهر جزء من الرقبة عاريا كما يحدث مع الرجال. وبذلك فقد أحدث هذا الموسيقي القادم من بغداد هاربا ثورة عميقة في طبيعة حياة قصور الطبقة الحاكمة وسرعان ما انتشرت تلك الممارسات في طبقات المجتمع الأخرى.

ومن كبار المؤرخين والأدباء لسان الدين ابن الخطيب (13131374) صاحب «الاحاطة في أخبار غرناطة» والذي عرف أيضا بموشحاته الشهيرة ومنها:

جـــادك الغـــيث إذا الغـــيث همى　　يـــا زمـــان الوصـــل بـــالأنـــدلس

لم يـــكـــن وصـــلك إلا حـــلمـــا　　في الـــكـــرى أو خلـــسة الـــمـــخـــتلس

2- اللغات المحلية في الأندلس قبل انتشار العربية

2-1- اللاتينيةالرومانسية

اللاتينية لغة هندية أوروبية اكتسبت لفظها من اسم «لاثيو» وهو إقليم يقع في وسط إيطاليا وعاصمته روما. وتحدث بهذه اللغة الرومان القدماء وانبثقت منها اللغات الرومانسية. ومثلت اللاتينية اللغة الرسمية للإمبراطورية الرومانية لغاية انهيارها وسقوطها نهائيا سنة 476 م في الغرب و 1453 في الشرق بسقوط القسطنطينية، عاصمة الروم البيزنطيين أو الرومان الشرقيين بيد الإمبراطورية العثمانية.

تعكس اللاتينية العامية لغة قوم يمتازون بانعدام الثقافة الأدبية، ثم إنها لغة الطبقات الدنيا من المجتمع، مقابل اللاتينية الفصيحة التي كانت وسيلة التواصل للطبقات المتعلمة والمسؤولين والمتمكنين ماديا. وتتمثل الفوارق بين مستويي هذه اللغة في المفردات والنحو والصرف واللفظ وغيرها. انتشرت اللاتينية العامية اعتبارا من القرن الثالث للميلاد مع أنها كانت موجودة قبل ذلك.

ويعرّف قاموس الأكاديمية الإسبانية للغة العامية اللاتينية بأنها «اللغة التي استخدمتها الطبقات الشعبية في الأقاليم المحكومة من طرف الرومان. وتتميز عن اللاتينية الفصيحة بخصوصيات منها طرق التلفظ وقواعدها المبسطة واستخدامها لمفردات وتعابير جديدة»[1].

1- http://dle.rae.es (Consulta: 29/12/2016)

وفي القرن العاشر الميلادي بدأت اللغات ذات الأصل اللاتيني بالظهور حيث نبعت من العامية وأخذت تتشكل وتستقل. هذا يعني بأن اللغات الحديثة ذات الأصل اللاتيني لم تنبع من اللغة الأدبية الرفيعة المستعملة من قبل الأدباء والكتاب، بل من الاستخدام الشعبي البسيط. وهناك من يعتقد بأن اللاتينية الفصيحة والعامية تعايشتا جنبا إلى جنب لقرون طويلة. وتعتبر الحواشي المدونة على النصوص اللاتينية الموجودة في دير «سان ميان ديلا كوغويا» في شمال إسبانيا بداية انبعاث اللغة الإسبانية.

بدأ تماس اللغة العربية مع اللاتينية في شمال افريقية منذ نهاية القرن السابع للميلاد واستمر ذلك في بداية القرن الثامن في شبه الجزيرة الإيبيرية. وقد أثرت العربية وتأثرت باللاتينية، حيث دخلت إليها من لغة «هوراثيو» مئات المصطلحات العلمية وخاصة في ميدان الطب والزراعة والصيدلة، وذلك، سواء من اللاتينية الفصيحة أو من الأقل فصاحة والمنتشرة في شمال أفريقية والتي جلبها إلى الأندلس السكان الأصليون من البربر. ويمكن الكشف عن تلك الكلمات من خلال أسماء الأماكن التي سموا بها المدن والقرى والضيعات بالأندلس. وكما ترى (Viguera، 2002) فإن تماس اللاتينية ولهجاتها المحلية مع العربية بلغ درجة أكبر من خلال ترجمة نصوص هذه اللغة إلى العربية، وانعكس ذلك على عدد المفردات المستعارة والتي بلغت حسب الدارسين 5% من مجموع كلمات العربية الأندلسية. غير أن هذه النسبة تضاءلت شيئا فشيئا لانتشار التعريب بعد أن صارت العربية لغة السلطة السياسية والدين والثقافة.

وأطلقوا تسمية «المستعربين» على سكان الأندلس الأصليين من الذين تعربوا وأصبحوا مزدوجي اللغة مع لغاتهم الأم (الرومانسية). وتطلق كلمة الرومانسية على اللغات التي انبثقت من العامية اللاتينية وتفرعت في لغات عدة من أشهرها: الاسبانية والفرنسية والايطالية والبرتغالية والرومانية والجليقية والقطلانية. أما من أسلم منهم فقد أطلقت عليه تسمية «المولدين». ومن الواضح أن حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر قد خلقت لغة علمية في هذه الأخيرة، انتقل أثرها لاحقا إلى اللغات الأوروبية الأخرى. تلك اللغة أصبحت مليئة بالمصطلحات العربية في الطب والبيطرة وعلم النبات وغيرها، ما زالت

قائمة حتى يومنا. وعلى الرغم من عدم مكوث العرب في أراضي هذا الاقليم أثناء حكمهم للأندلس، فإن بها الكثير من المفردات العربية التي دخلت على الأغلب إليها عن طريق البرتغالية لتشابه اللغتين في اللفظ والقواعد والصرف.

وجدير بالذكر أن المفردات اللاتينية أولا ثم العربية ثانيا كانت الأكثر شيوعا واستعمالا في الإسبانية حتى القرن السادس عشر. وصارت تلك الكلمات التي تتجاوز الأربعة آلاف كلمة جزءا أساسيا ومهما من لغة «سربانتس» وانتقلت منها إلى لغات أوروبية أخرى وإلى دول أمريكا اللاتينية. ولم تقتصر على أسماء الأشياء والمواد، بل تجاوزتها إلى أسماء الأماكن والمدن.

ويفسر الدارسون «استعارة المفردات العربية من قبل لغات أخرى دخول أية كلمة سواء وردت من الفصحى أو العاميات العربية إلى لغة أخرى، والمعنية في هذه الحالة اللغة الإسبانية. وتطويع تلك الكلمات تم بشكل تدريجي من حيث التركيب أو اللفظ» (Ammadi، 2005: 306).

ويرى البعض بأن بين العاميات العربية والرومانسية تشابها كبيرا حيث كانت العربية الفصحى اللغة الأم للعاميات العربية واللاتينية أصل اللغات الرومانسية. فالعربية واللاتينية كانتا لغتين لحضارتين وثقافتين. غير أنهما وبعد انتشارهما في الأقاليم والبلدان تأثرتا باللغات المحلية وأصبحت لغة الكلام تبتعد نوعا ما عن اللغة الرسمية الفصيحة. وعلى الرغم من «أن اللاتينية هي لغة هندية أوروبية والعربية لغة سامية، وأنهما ينتميان إلى عائلتين لغويتين مختلفتين لا صلة تربطهما وتنتميان إلى نظامين لغويين مختلفين، فمع ذلك نجد بينهما تشابها في التطور من اللغة الفصحى إلى العاميات» (Frías، 2000: 17)

وتختلف اللغة الإسبانية عن باقي اللغات الرومانسية لكثرة الكلمات ذات الأصول العربية فيها. إنها نتيجة التعايش الطويل بين العرب المسلمين وسكان شبه الجزيرة الإيبيرية. فعند وصول العرب إلى هذه البقاع كانت اللاتينية تعاني من فقر كبير في تراكيبها ومفرداتها، بينماكانت العربية غنية ومؤثرة وخاصة ما بين القرنين التاسع والثاني عشر. لذا فقد كان من السهل أن تنتشر العربية بين السكان المحليين وتدخل الكثير من مفرداتها في اللغات المحلية لتشمل ميادين الزراعة والغذاء والعمارة والريّ وغيرها.

3- لغات الأندلس بعد وصول العرب المسلمين

3-1- العربية والعربية الأندلسية واللهجات البربرية

عند قدوم المسلمين إلى شبه الجزيرة الايبيرية عام 711 م لم يكن يتحدث العربية من القادمين الجدد إلا القليل، لأن معظم الذين رافقوا ابن زياد كانوا من البربر المتحدثين بلغة الأمازيغ. غير أن الموجات اللاحقة التي وصلت إلى الأندلس كان أغلبها قادما من اليمن وبلاد الشام وهو ما ساعد على انتشار اللهجات العربية لقبائل هذين البلدين خاصة إلى جانب العربية الفصيحة لغة الإدارة والثقافة. غير أن تلك اللهجات اقترب بعضها من بعض حتى كادت أن تصبح لهجة واحدة في القرن العاشر، عرفت فيما بعد بالعربية الأندلسية، وخاصة في الأماكن الحضرية والمدن. وبالتكامل مع الرومانسية الإسبانية للسكان الأصليين أصبح هناك ازدواج لغوي وبصورة خاصة عند طبقة المتعلمين ومن الذين اتخذوا الدين الرسمي عقيدة وممارسة. في حين أن المناطق القروية المتصفة بالفقر والتخلف واتباع الدين المسيحي استمرت على استخدام الرومانسية بشكل عام (Corriente، 1992: 34).

وخلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر تحول الازدواج اللغوي المذكور ليندمج في لغة واحدة تكاملت معالمها تماما في القرن الثالث عشر. غير أن عمليات استرجاع أراضي الأندلس من أيدي العرب والمسلمين أعادت شيئا فشيئا حالة الازدواج اللغوي إلى ما كانت عليه، لأن العربية بدأت تنحسر عن الأقاليم المسترجعة ويعود سكانها إلى استخدام اللغات الرومانسية.

وتجدر الإشارة إلى أن العربية الأندلسية هي أقرب ما تكون إلى العربية المحكية آنذاك في المغرب العربي. ولم تقتصر على كونها وسيلة للتواصل بل أصبحت مادة لأكثر من صنف أدبي كالأمثال والزجل الذي اشتهر به شيخ الزجالين الأندلسيين ابن قزمان (1078-1160). وقد ذكر ابن خلدون بأن ابن قزمان هو من أبدع فن الزجل، غير أن مؤلفين آخرين يرون أن الزجل كان معروفا قبله، الاّ أن ابن قزمان تفوق فيه وأبدع أيما إبداع. واعتبر الكثيرون هذا المؤلف جسرا بين الشرق والغرب.

والزجل شعر شعبي عامي كان يكتب ليغنى وهو يشبه في تركيبه الموشحة غير أن هذه الأخيرة تكتب بالفصحى. ويشتمل الزجل أيضا على المطالع والأبيات

والأقفال والخرجات وتتخلله كذلك ألفاظ أعجمية من الرومانسية. وبكلمة أخرى فإن الزجل موشحة ولكن باللهجة العامية.

وقد أبدع ابن قزمان الزجل في فترة المرابطين. وفيما يلي جزء من أحد أزجاله:

مـا دامـت الـدّنيـا عِـزّك يـدوم

وأنـتم أهـل الجـاه وأهـلُ العُـلوم

وهُـم كبـارُ النـاس مـثل النـجوم

وهـم بـنـو حـمـدين مـثل الـبُدور

نَـحـفَـظ أنـازَجْـلَك ونَنْـشـدو

ونَجـعل الحـاسد أنيحـسدُ

وَنَشْـتُم أيمـا كـان مَعَـكْ عَـدُ

الـق الله فيْ راس ضـربة شُـقـور

(كورينطي، 1980: 20)

ويرى الكثير من الباحثين العرب والأوروبيين بأن الزجل قد أثر في الشعر الأوروبي «المعروف بالبروفنسي الذي كان ينشده شعراء التروبادور المتجولون في إسبانيا وجنوب فرنسا وإيطاليا. وقد يكون تم ذلك عن طريق المستعربين الذين نقلوا بدورهم حضارة العرب إلى شمال إسبانيا وأوروبا. وقد بنيت أغاني التروبادور على أساس الموشحات والأزجال» (طويل، 1991: 189).

أما الموشحة التي تكتب بالعربية الفصحى وهي من إبداع الأندلسيين أيضا مثل الزجل، فيسمى آخر قفل فيها بالخرجة. والخرجات تكون بالفصحى أو العامية الأندلسية أو الأعجمية الرومانسية. وربما تكون خليطا من هذه اللغات. وقد أشتهر الكثير من شعراء الأندلس بكتابة الموشحات مثل عبادة بن ماء السماء (ت. 1030) وأبو بكر بن زهر (10721162) والأعمى التطيلي (10921130).

ومواضيع الموشحات متنوعة، غير أن الحب يفوق كل الشؤون الأخرى التي

يعالجها هذا الصنف من الشعر. ولا تخلو طبعا من ذكر اللقاء والفراق والمدح للتكسب وحتى الشكوى من الزمان. وقد يكون التطيلي أبرز من صور كل تلك المشاعر في موشحاته. واشتهرت من بينها واحدة يقول فيها(El Ciego de Tudela، 2001: 20):

ضـــاحـــك عـــن جـمـــان ســـافِـــرٌ عـــن بـــدرِ
ضـــاق عـــنـه الـــزمـــان وحـــواه صـــدري

ويستمر التطيلي في موشحته لينتهي إلى الخرجة التي تقول:

قـد رأيـتـكْ عـيـان لـيسَ علـيكَ ستـدري
سيطـول الـزمـانْ وستـنـسى ذكـري

وهذه الخرجة كتبها بالفصحى، في حين أنه أنهى موشحة أخرى بالعامية وهي.

مـن كـان دعـاني يـا قـوم وش كـان ادّاني
اش كـان دهـاني نبـدّل حـبـيبي بـثـانِ

وثالثة يرصعها بكلمات رومانسية فيقول:

يـا مطـرمي الرحيـمة أرّاي ذُي منـيانـهْ
بُـونْ أبـو الحـجّاجْ لَـفـاجِ ذي مَطـرانـهْ

ويقصد بذلك: «يا أمي الرحيمة، عندما ينفلق الفجر، ليأتِ أبو الحجاج مع خيوط نور الصباح».

ولا ينبغي أن نستغرب هذا الاختلاط اللغوي والذي هو ثمرة للاختلاط الاجتماعي والثقافي. وفي هذا الصدد يقول المستشرق الإسباني خوان بيرنيت: «لقد أعطى الإسلام للسكان المحليين حكما ذاتيا واسعا، وفرض عليهم ضرائب أقل بكثير مما كانوا يدفعونه قبل الإسلام» (Vernet، 1978: 24)

وأسلم الكثير من السكان المحليين، وشكل هؤلاء النسبة الكبرى بين مسلمي

الأندلس، وأصبح
على بعض التقاليـ
تعريبهم مع مرور
فقد عرفوا بالمستعـ
«أما العرب فـ
فقد دخلوا الأندلـ
الزمن جيل عربي
أن تكون الأعجـ
جميعا عربا وغير
في حين أن الـ
وكان مستوى تعـ
بالتحدث بلهجا
يمكن القول
البربرية قد تعايـ
التي كانت لغة
وعرفت بصـ
وطليطلة وسرق
على تلك المدن
يتكفلون بدفع
وسلامة قراءته
ابن خلدون (
عهد ملوك الـ
وقواعد النحو
ويعني هذ
تناول النصوـ
وكان أمرا
والمعرفة. اهتـ

الأندلس، وأصبحوا يعرفون بالمسالمة أو بالمولدين. وحافظ هؤلاء المسلمون الجدد على بعض التقاليد المحلية الموروثة فكانوا يتخاطبون بلغتهم الأعجمية، رغم تعربهم مع مرور الزمن لغة وثقافة. أما السكان الذين ظلوا على ديانتهم المسيحية فقد عرفوا بالمستعربين والذين بدورهم تعلموا العربية وتأثروا بثقافتها.

«أما العرب بفرعيهم الكبيرين القحطاني والعدناني من الذين شاركوا في الفتح فقد دخلوا الأندلس جندا وتزوجوا من الأندلسيات، فنشأ في الأندلس مع مرور الزمن جيل عربي جديد يتلقى التأثيرات من جهتين، الأم والأب. وليس مستغربا أن تكون الأعجمية، اللهجة المتحدرة من اللغة اللاتينية مألوفة من قبل الأندلسيين جميعا عربا وغير عرب، مسلمين ومن ديانات أخرى» (شنوان، 1996: 478)

في حين أن المسلمين البربر دخلوا غالبا مع أسرهم لقرب ديارهم من الأندلس، وكان مستوى تعربهم كبيرا، خاصة في الميدان العلمي والثقافي إلى جانب استمرارهم بالتحدث بلهجاتهم البربرية. وهم أتقنوا أيضا الأعجمية مثل بقية الأندلسيين.

يمكن القول إذن إن اللهجات المختلفة: العامية الأندلسية والأعجمية واللهجات البربرية قد تعايشت بصفتها وسائل للتواصل بين الناس إلى جانب العربية الفصحى التي كانت لغة العلم والثقافة.

وعرفت بصفتها مراكز للعلم والثقافة مدن أندلسية كثيرة منها قرطبة وإشبيلية وطليطلة وسرقسطة وغرناطة ومالقا والمرية. لكن مدارس تعليم الصغار لم تقتصر على تلك المدن لأنها كانت منتشرة أيضا في القرى الصغيرة والبلدات. كان الآباء يتكفلون بدفع أجور المعلم ليدرسهم مختلف العلوم وخاصة ما يتعلق بالقرآن وسلامة قراءته. ونقلا عن العالم ابن عربي المورسي (11651240) يؤكد المؤرخ الكبير ابن خلدون (13321406) بأن «مناهج التعليم التي كانت متبعة في الأندلس على عهد ملوك الطوائف والمرابطين كانت ترمي إلى دراسة شيء من الشعر والحساب وقواعد النحو قبل التعرض لقراءة وحفظ القرآن» (Arié، 1984: 359)

ويعني هذا بأن دارسي العربية كان عليهم أن يتسلحوا جيدا بعلوم اللغة قبل تناول النصوص الدينية التي تحتاج إلى دراية كبيرة باللغة ومعرفة بأدق تفاصيلها.

وكان أمراء وخلفاء الأندلس من العرب المسلمين مثالا يحتذى في الاهتمام بالعلم والمعرفة. اهتم هؤلاء بتعليم أولادهم وتكوينهم على أيدي خيرة العلماء والمدرسين.

وأول من أدخل كتب النحو والصرف المشرقية هو النحوي العراقي أبو علي القالي صاحب «كتاب الأمالي» والذي وصل إلى قرطبة عام 941 بعد مروره بمدينة القيروان. وقام هذا العالم بتربية وتعليم الأمير وولي العهد الحكم ابن الخليفة عبد الرحمن الثالث. عمل القالي في التدريس بقرطبة لأكثر من عشرين عاما. وبرز من بين تلامذته علماء مثل المؤرخ ابن القوطية (ت 977) وأبو بكر الزبيدي (ت 989) واللذين تكفلا بتربية الأمير هشام.

وفيما يتعلق بالأدب في الأندلس فإن بداياته غامضة إلى حد ما. بدأت في القرن التاسع بعض المؤلفات الشرقية في الانتشار ولم تظهر تآليف أندلسية تتسم بالنضج حتى القرن العاشر. ويحضرنا في هذا الباب كتاب «العقد الفريد» للقرطبي ابن عبد ربّه (860940) الذي سار فيه على نهج الأدباء الموسوعيين المشارقة مثل الجاحظ. ويضم «العقد الفريد» خمسة وعشرين كتابا وضع المؤلف لكل كتاب اسم جوهرة. يروي فيه المؤلف أخبارا من التاريخ والعلوم والآداب شعرا ونثرا. فعلى الرغم من أن كاتبه أندلسيّ فإنّ جزءا مهما من مؤلفه يتحدث عن المشرق. وعندما اطلع عليه الصاحب بن عباد (938995) قال «هذه بضاعتنا ردّت إلينا».

وتأثر بعلماء وأدباء المشرق أديب أندلسي آخر هو أبو بكر الطرطوشي (10591126) الذي ألف كتاب «سراج الملوك». وكان طغيان الأفضل الجمالي (10661121) باعثا له على تأليف هذا الكتاب في «وعظ الملوك والحكام، وبيان ما ينبغي أن يأخذوا به أنفسهم من العدل الذي لا تصلح حياة الرعية بدونه، والسياسة الرشيدة الجامعة لمصالحها التي لا تستقيم حياتها بدونها سواء في تدبير الملك والحكم ونظامهما وقواعدهما السديدة في تدوين الدواوين ومعاملة الجند وفرض الأرزاق أو الرواتب وسيرة الولاة والحكام وجباية الأموال...»[1]

ومن أكثر الكتاب الأندلسيين شهرة ابن حزم (9941064) صاحب «طوق الحمامة». ويعد هذا الكتاب أصيلا في بابه وفي موضوعه ولم يسبقه سوى «كتاب الزهرة» لابن داود (868909) ناقش فيه قضية الحب ومفهوم العشق لدى العرب. وحسب الكثير من الدارسين فإن طوق الحمامة قد أثر في العديد من الكتّاب في شبه الجزيرة الإيبيرية مثل «خوان رويث قسيس هيتا» (12831351) في كتابه «الحب

1- من تقديم سراج الملوك الذي كتبه شوقي ضيف، ص 6.

المحمود». ويبدو ذلك التأثير في «تناوله لموضوع الحب وتأثيراته وفي استعمال المعلومات الخاصة بالسير والنوادر. وقام بعض المستعربين بمقاربة العملين واستخراج وجوه الشبه بينهما مثل «أميريكو كاسترو» و«إميليو غارثيا غوميث» (Chejne، 1993: 230)

3-2- لهجة المستعربين

أطلقت كلمة المستعربين على السكان الأصليين المتحدثين باللغات الرومانسية من اللذين كانوا يقيمون في الأقاليم التي يحكمها المسلمون بعد عام 711م. وهؤلاء السكان الذين كان أغلبهم يدين بالديانة المسيحية حافظوا إلى حد كبير على لغاتهم الأصلية الرومانسية والتي سميت فيما بعد بـ Mozárabe أي لغة أو لهجة المستعربين والتي استمر التحدث بها وكتابتها بالحروف العربية حتى نهاية القرن الحادي عشر. وكانت أيضا تستخدم من قبل المولدين، وهم الذين أسلموا من سكان الأندلس الأصليين. وحتى العرب المسلمون كانوا يستخدمونها ولو بدرجة أقل.

وما زال حتى يومنا هذا ما يقرب من ألفي عائلة تنحدر من هؤلاء المستعربين القدماء يقيمون في مختلف المدن الإسبانية وخاصة في مدينة طليطلة. وما زال الكثير منهم محافظا على العديد من التقاليد والعادات والطقوس الدينية التي يمارسونها في المناسبات الخاصة. وبعد طرد العرب المسلمين من تلك المدينة سنة 1085 بقيادة الملك ألفونسو السادس طالبت كنيسة روما بإلغاء الطقوس الدينية للمستعربين والتي كانت تمارس في ست كنائس مختلفة بهذه المدينة. غير أن المستعربين تمسكوا بتراثهم ذاك مما اضطر كنيسة روما بقبول اختيارهم. وقد تمتعت جالية المستعربين بطليطلة بميزات مدنية كبيرة منها استقلاليتهم الجزئية بأن كان لديهم قواد وإداريون سواء خلال وجود العرب المسلمين أو بعد إخراجهم من طليطلة. وإلى جانب الطقوس الدينية الخاصة، كانت لهم موسيقاهم وفنونهم.

ولم تقتصر أماكن تواجد المستعربين على طليطلة لكونهم كانوا منتشرين في مدن مهمة أخرى. ففي مدينة سرقسطة كان هناك عدد كبير منهم وكان لديهم حي خاص بهم. وكانوا متواجدين أيضا في مدن أخرى مثل بلنسية وقرطبة.

ومفردات هذه اللهجة، بالإضافة إلى استخدامها كما مرّ في الموشحات والأزجال،

ورد الكثير منها في مؤلفات علمية ككتب الطب والبيطرة والصيدلة في الأندلس. استخدمها الطبيب القرطبي ابن جلجل (ت 994) والتونسي ابن الجزار (898980) وابن وافد من طليطلة (9971074) والطبيب ابن جناح (9901050) من سرقسطة والذي كان يدين بالديانة اليهودية. وكذا ابن البيطار (11971248) الصيدلي والعالم النباتي.

3-3- الأعجمية

يمكن أن نعرّف الأعجمية المسماة بـ Aljamiado بكونها اللغة الإسبانية التي كان يتحدث بها العرب المسلمون وبشكل خاص المورسكيون. وتشكل النصوص الأدبية المكتوبة بالأعجمية المورسكية المؤرخة في نهاية القرن الخامس عشر والقرن السادس عشر وثائق مهمة تبين ازدهار هذه اللهجة وانتشارها بين طبقة من سكان الأندلس. والأعجمية كما سبق هي لغة رومانسية مكتوبة بحروف عربية. تشتمل على مفردات عربية وإسبانية وتتضمن الكثير من الاقتباسات القرآنية. وتميزت بكونها لغة شعبية، بها الكثير من الأخطاء الإملائية والنحوية وكانت تستخدم مفردات مهجورة إلى حد كبير. وفي رأي عدد من الباحثين فإن الكثير من تلك المفردات المهجورة تم الحفاظ عليها بفضل المورسكيين الذين استخدموها في نصوصهم. ودراسة الأعجمية تمنح الفرصة للدارسين للتعرف على الجانب المعجمي لهذه اللهجة بالإضافة إلى الوقوف على التأثيرات التي تركتها اللغة العربية في اللغة والأدب الإسبانيين.

وعندما استعاد الملوك الكاثوليك مدينة غرناطة وأزاحوا الملك النصري عن الحكم تم التوقيع على معاهدة بتاريخ 25 نوفمبر 1491 يلتزم فيها الحاكمون الجدد بالسماح للمسلمين بممارسة طقوسهم الدينية ولغتهم، غير أنهم لم يلتزموا بها في الواقع. ففي نهاية القرن الخامس عشر قام الكاردينال خيمينيث ثسنيروس (14361517) والذي كان مقره بمدينة طليطلة بإجبار السكان المدجنين والمورسكيين على ترك ديانتهم الإسلامية واعتناق المسيحية. غير أنهم تمردوا على هذا القرار ولجأوا إلى حي البائسين المحاذي لجبل غرناطة وإلى منطقة البوخاراس القريبة من المدينة. وفي بداية القرن السادس عشر أمر الكاردينال المذكور بتنصير المسلمين بالقوة. هذا علما بأن رجل الدين هذا كان عضوا بارزا في محاكم التفتيش الإسبانية الرهيبة والتي مارست كل أنواع القتل والتعذيب والحرق ضد غير المسيحيين. وتكررت حالة غرناطة في

مدن وأقاليم أخرى من شبه الجزيرة الإيبيرية ومملكة قشتالة. «ففي السابع عشر من فبراير 1502 صدر أمر جديد يخير المدجنين بين اعتناق المسيحية أو الهجرة. وفي اقليم أراغون وبلنسية وقع ذلك في عام 1526. ظهر بعد هذا التاريخ اسم المورسكيين والذي كان يضم مجاميع مختلفة من أصول متشابهة لكنها كانت مختلفة في ظروفها الاجتماعية والدينية» (Gómez، 2000: 73)

والمورسكيون اعتنقوا الدين المسيحي ظاهريا لكنهم استمروا مسلمين قلبا واعتقادا وسلوكا ومارسوا الطقوس الإسلامية في سرهم وفي ساعات خلوتهم، متمسكين بفكرة التقية التي أباحها لهم فقهاؤهم لتفادي الضغوط التي كانت مسلطة عليهم من قبل السلطات الدينية المسيحية. وكانت تلك السلطات تشك في ولائهم للدين الجديد وتراقبهم عن كثب لمعرفة إيمانهم الحقيقي. وقد أدت تلك الظروف إلى أن ينسى هؤلاء جزءا من اعتقاداتهم وطقوسهم وأصبحت ثقافتهم أقل ثراء مما كانت عليه. وكانوا أيضا عرضة للرقابة الدائمة فوجدوا أنفسهم مضطرين على تسليم كتبهم وترك أبواب دورهم مشرعة وخاصة أيام الجمعة كيلا يؤدوا صلاة الجماعة سرا. تخلوا كذلك عن عادة الاغتسال في الحمامات ومنعوا من استعمال لغتهم وأجبروا على ارتداء الزي الذي كان يرتديه المسيحيون. لم يكن أيضا مسموحا لهم صيام رمضان، وبالتالي كان الهدف هو القضاء على هويتهم الخاصة.

لذا يمكن القول إن الأعجمية تشكل التقاء عضويا بين اللغتين الرومانسية والعربية، الرومانسية في ثرائها القديم وتراكيبها المهجورة، والعربية في تراجعها وتدهور مستواها. وتعود النصوص المكتوبة بالأعجمية إلى المسلمين الأواخر في شبه الجزيرة الإيبيرية، وهي مكتوبة بخط اليد وتم إخفاؤها خوفا من الرقابة في الكهوف والسقوف وشقوق الجدران. وبعد طرد المورسكيين من هذه البلاد بقيت نصوصهم مخفية في أماكنها لقرون طويلة، وجرى أول اكتشاف مهم لتلك النصوص في بلدة بإقليم سرقسطة تلتها اكتشافات جديدة في مناطق متعددة من تراب الأندلس مثل بلنسية وغرناطة.

ونتيجة لذلك الاختلاط بين اللغات وكتابتها فقد برزت جملة من الاحتمالات بخصوص ذلك حسب مستوى المعرفة بلغة أو بأخرى وهي: اللغة العربية مكتوبة بحروف عربية، الرومانسية المكتوبة بحروف عربية (الأعجمية)، الرومانسية

المكتوبة بحروف لاتينية، العربية المكتوبة بحروف لاتينية.

أما فيما يخص استخدام المورسكيين للحروف العربية في كتابة الأعجمية فهناك الكثير من الآراء التي تفسر هذه الظاهرة الاستثنائية. هناك من يعتقد بأن هؤلاء المورسكيين كانوا يجهلون الحروف اللاتينية على الرغم من معرفتهم باللغات الأعجمية. وهناك من يظن بأنهم تمسكوا بتلك الحروف لكونها تجمعهم بقرنائهم المسلمين ولكونها حروف القرآن، وعليه فإن ذلك الأمر يدخل في محاولة الحفاظ على الهوية. وهناك من يعزو تلك الكتابة إلى محاولة المورسكيين إخفاء مضامين نصوصهم وجعلها غير مفهومة بالنسبة للرقابة الدينية والسياسية والتي كان أصحابها في العموم يجهلون الكتابة العربية.

ولا بد من الإشارة إلى أن هذه الظاهرة ليست مقتصرة على الأعجمية لأن من المعروف أن لغات أخرى قبلها سارت على نفس النهج مثل الفارسية والأردو والسواحيلية وغيرها.

وتصور الكتابات بهذه اللغة مراحل وتاريخ زوال المورسكيين من هذه الجزيرة. ولم يكن هؤلاء مجرد طبقة من العمال والفلاحين والصناع التقليديين فقط، بل كان من بينهم عدد لا بأس به من المتعلمين والمثقفين. وعلى الرغم من أن محاكم التفتيش قد دمرت الكثير من آثار المورسكيين الأدبية فما زالت محفوظة إلى يومنا هذا في أكثر من مئتي مخطوطة. تتناول تلك النصوص مواضيع شتى منها الدينية والقانونية والأدبية الروائية والشعرية. وتشتمل أيضا على الكثير من الوثائق القانونية الخاصة بالتجارة أو البيع والشراء، بالإضافة إلى موضوعات أخرى مثل الرحلات أو النثر التعليمي. ولم تخلُ تلك الكتابات وخاصة في المرحلة الأخيرة من وجود المورسكيين في الأندلس من مضامين خرافية وسحر وأدعية وغيرها.

4 - تعليم اللغة العربية في إسبانيا: مراجعة تاريخية

4-1- البدايات

لم يكن لإسبانيا تقليد في تعليم العربية ودراستها أكاديميا كما جرى في بلدان أوروبية أخرى مثل فرنسا أو ألمانيا، على الرغم من أنّ العربية وآدابها يشكلان عصبا مهما من تاريخ هذا البلد حين اختلط العرب المسلمون مع السكان الأصليين فكان

الأندلس بتاريخه
الإسلامية والإس
الدائم وراء هذا
نبعت بدايات
المسيحيين بهدف
وفي نهاية الثلا
«ميغيل آسين بلا
«منتخبات من ال
كتابه: «لدراسة ال
الطلبة من تفسير
السياسي والثقافي
تركز الاهتماء
متجاوزا قواعد
والقواعد القليلة
العلمية لأن الهد
سابقا. وتم التأ
في قواعدها و
من النصوص
أهمية لهذا المنهج
الإسلام الاسبا
في المستوى الأو
تلا «آسين
«إميليو غارثيا
للمبتدئين» عام
أن عمل «آسين
الحاجة إلى المص
حتى صدور ذل

الأندلس بتاريخه وثقافته وعلمه وفلسفته. وربما كان الاحتكاك بين الثقافتين العربية الإسلامية والإسبانية لقرون خلت والذي لم يتسم دائما بالتعايش الكامل ولا السلام الدائم وراء هذا الإهمال والتخوف والتعامل مع تلك الثقافة بحذر وتخوف أحيانا.

نبعت بدايات الاهتمام بالعربية في إسبانيا على أيدي بعض من رجال الدين المسيحيين بهدف الاطلاع على تعاليم الإسلام لنقدها والاعتراض عليها.

وفي نهاية الثلاثينيات من القرن الماضي قام القس والأستاذ بالجامعة المركزية بمدريد «ميغيل آسين بلاثيوس» بنشر واحد من أوائل كتب تعليم العربية في إسبانيا بعنوان «منتخبات من العربية الفصحى ومعجم للعناصر النحوية». يقول المؤلف في مقدمة كتابه: «لدراسة اللغة العربية في منهاج كلية الفلسفة والآداب هدف علمي وحيد: تمكين الطلبة من تفسير وفهم النصوص المطبوعة منها والمخطوطة الضرورية لفهم التاريخ السياسي والثقافي للإسلام وبشكل أساسي الإسلام الاسباني» (Asin، 1959: 5)

تركز الاهتمام إذن على تعلّم العربية بالقدر الذي يسمح للطالب ترجمة النصوص متجاوزا قواعد النحو والصرف اللازمة للتحدث أو الكتابة بصورة صحيحة. والقواعد القليلة التي يشتمل عليها الكتاب لا تعرض بشكل منتظم ولا تلتزم الدقة العلمية لأن الهدف الأساسي هو معرفة العربية بصورة عملية تفي بالغرض المذكور سابقا. وتم التأكيد على الأفعال الصحيحة السليمة والأسماء التي تخلو من الشذوذ في قواعدها وصرفها لتسهيل الأمر على المتعلمين. وتتبعُ شروح القواعد منتخبات من النصوص تستخدم بصفة تمرينات تطبيقية لممارسة الترجمة وهي الجانب الأكثر أهمية لهذا المنهج. واختيرت النصوص من كتب مطبوعة أو مخطوطة لها صلة بتاريخ الإسلام الاسباني. ومن الملاحظ أن النصوص جميعها جاءت مشكّلة لتسهيل قراءتها في المستوى الأول، وتفادى المؤلف تضمين نصوص شعرية لظنّه أنها أصعب من النثر.

تلا «آسين بلاثيوس» في نشر كتاب لتعليم العربية تلميذه المستعرب المعروف «إميليو غارثيا غوميث» حيث أصدر كتابا جديدا بعنوان «نصوص عربية منتخبة للمبتدئين» عام 1943. أثنى المؤلف على أستاذه لتأليفه الكتاب المذكور سابقا، مؤكدا أن عمل «آسين بلاثيوس» قد حرر أساتذة اللغة العربية في الجامعات الإسبانية من الحاجة إلى المصادر الأجنبية لدراسة اللغة العربية. تلك المصادر التي كانت ضرورية حتى صدور ذلك المؤلَّف.

سار «غارثيا غوميث» على نهج أستاذه في تأليف منهجه، حيث عمل على اختيار عدد من النصوص القديمة يليها معجم مصغر لشرح الكلمات الواردة في النصوص. لجأ المؤلف في انتخابه للنصوص إلى عدد من الكتب التي تعود غالبيتها لمؤلفين أندلسيين ومنها:

كتاب «ألف باء» للمؤلف المالقي يوسف بن الشيخ البلوي (11231207) والذي تناول منه عشرة نصوص تعالج موضوعات موسوعية مختلفة. واقتبس ثمانية عشر نصا من كتاب «مختصر روض الرياحين في مناقب الصالحين» لعبد الله بن أسعد اليافعي. وكان هذا صوفيا من اليمن وتتحدث نصوصه عن الزهد والتعفف في الحياة. وأخذ ستة وعشرين نصا قصيرا من كتاب «حدائق الأزهار في مستحسن الأجوبة والمضحكات والحكم والأمثال والحكايات والنوادر» لأبي بكر محمد بن عاصم (13591426) الوزير الغرناطي ومؤلف كتاب «التحفة» في الفقه المالكي.

واختار نصا طويلا من كتاب «زهر الكمام فيما يتعلق بأخبار سيدنا يوسف الصديق» لعمر بن إبراهيم الأنصاري الأوسي وهو من مدينة مرسية وعاش في القرن الثالث عشر.

ثم نص من كتاب «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب» للمقري التلمساني (15781632). يليه نص بعنوان «باب علامات الحب» مأخوذ من كتاب «طوق الحمامة» لابن حزم الأندلسي (9941064).

وفي آخر الكتاب أشار المؤلف إلى مفاتيح بعض البحور الشعرية العربية التي جاءت عليها الأبيات الشعرية القليلة التي تزين بعض نصوص الكتاب.

وباختصار، فقد جاء نشر هذين الكتابين ليكونا عونا لدارسي العربية الذين لم يكن لديهم قبل ذلك أي منهج خاص لطلبة العربية من المتحدثين باللغة الإسبانية. وكما تم بيانه من قبل فإن الهدف الأساسي من هذين الكتابين كان تعويد الطالب على مواجهة نص عربي لدراسته وترجمته من أجل فهم التاريخ الأندلسي والثقافة الأندلسية. ولم يكن الغرض بأي شكل من الأشكال أن يلم الدارس باللغة بهدف استخدامها لغة للتواصل أو وسيلة للتعرف من خلالها على واقع العالم العربي الحديث في ظروفه الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية.

2-4- الاستمرارية

على المستوى الرسمي عانت العربية لعقود طويلة من إهمال المؤسسات المعنية والجامعات. فعلى الرغم من أهميتها لكونها لغة قوم تعايشوا مع سكان شبه الجزيرة الإيبيرية وصنعوا تاريخا مشتركا وتركوا أثرا واضحا في حياة السكان الأصليين، سواء في العمران أو الزراعة أو التقاليد أو الطعام وبشكل خاص في اللغة الاسبانية التي تضم ما يزيد على أربعة آلاف كلمة من أصل عربي، على الرغم من ذلك فهي لم تلق الاهتمام الكافي من لدن المسؤولين.

غير أن الجهات المعنية تداركت هذا النقص وأدركت أهمية هذه اللغة على المستوى العالمي لكونها لغة حية للتواصل لما يزيد على أربعمئة مليون إنسان ولغة لممارسة الشعائر الدينية لما يزيد على مليار ونصف من المسلمين. بالإضافة إلى ذلك فهي لغة ثقافة وحضارة لها تراث ضخم من الأدب والفلسفة وشتى العلوم.

لذلك فقد أنشئت العديد من المراكز والأقسام الجامعية ومدارس اللغات لتعليمها للراغبين من أبناء الشعب الإسباني. وتمت ترجمة العديد من النتاجات العلمية والأدبية من العربية إلى الإسبانية وتم تكوين الكثير من المستعربين الذين يقومون على تدريس العربية بتلك المراكز.

كما سبق وقلنا فقد كان الهدف من تعليم العربية في إسبانيا حتى سنوات قليلة مضت هو اكتساب حد أدنى من التكوين بالاطلاع على نحو وصرف اللغة وأسلوب مراجعة المعاجم بهدف التمكن من دراسة المصادر الكلاسيكية والكتب والمخطوطات التي تتناول تاريخ وأدب وفلسفة وعلم الأندلس. ولم يكن العالم العربي والإسلامي المعاصران ليدخلا ضمن اهتمام تلك الدراسات. ولم يكن مدرسو اللغة ولا طلابها يحرصون على تعلم العربية بصفتها لغة حية وأداة للتواصل لمئات الملايين من البشر. لذا فقد كانوا يشعرون بالرضا لمجرد تعلمهم شيئا من تراكيب النحو العربي وعدد محدود من المفردات وكيفية استعمال المعاجم مما يساعدهم على ترجمة النصوص القديمة والاطلاع على محتوياتها. ولا يشك أحد في أهمية ما أنجزه الكثير من المستشرقين والمستعربين من خلال بحوثهم ونشرهم للكثير من النصوص القديمة للعصر الوسيط التي كانت منسية على رفوف المكتبات. أما عدد الذين بلغوا مرحلة التمكن من اللغة واستخدامها بكونها لغة تواصل وتحدث فلم يتسنّ إلا

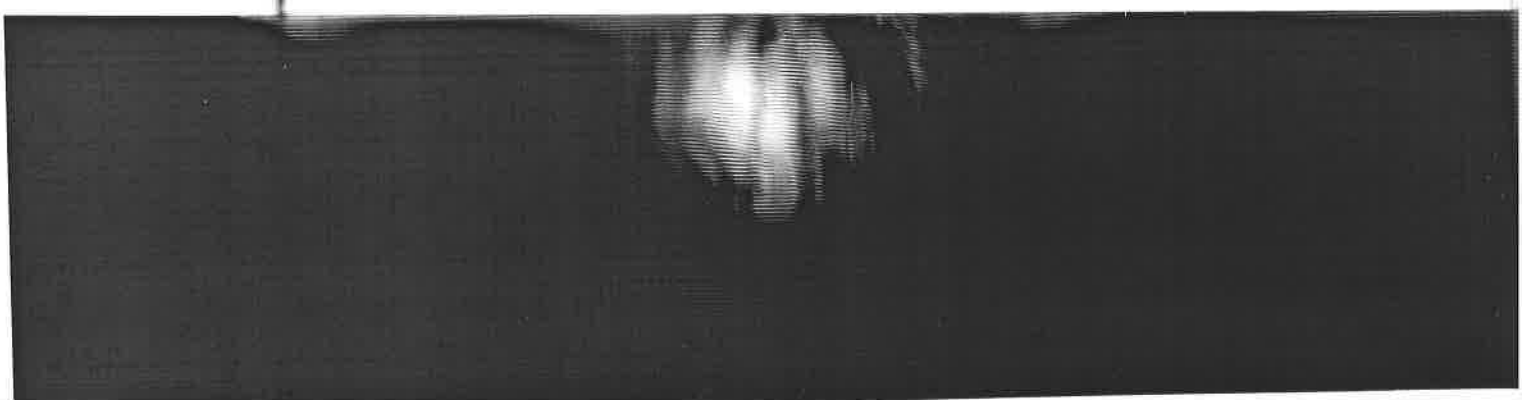
للقليل ممن حالفهم الحظ للإقامة في بلد عربي لفترة من الزمن والتواصل بهذه اللغة مع السكان العرب.

ومنذ ثلاثة عقود تقريبا توجهت الدراسات العربية في إسبانيا نحو منحى آخر، حيث أدرك أساتذة العربية وطلابهم بأن هذه اللغة ليست من اللغات الميتة كما هو الحال مع اللاتينية، وأن العربية بالإضافة إلى كونها لغة التواصل اليومي للملايين من الناس فهي أيضا لغة علم وأدب وثقافة ودين. وهي أيضا اللغة الرسمية لاثنين وعشرين بلدا تشكل ما يدعى بالعالم العربي. وكذا لغة للشعائر الدينية لأكثر من مليار ونصف من المسلمين. وكل هذا يبوئها مكانة تحسد عليها، ويكفي أن نذكّر بكلمات الكاتب الإسباني «كاميلو خوسي ثيلا» الحائز على جائزة نوبل للآداب عام 1989 حين قال إن العربية ستكون من لغات المستقبل إلى جانب الصينية والانكليزية.

ذلك الوعي بأهمية العربية الحديثة كلغة علم وحديث دفع الكثير من الأساتذة إلى البحث عن مناهج جديدة وحديثة وفعالة لتعليم العربية للطلاب والابتعاد عن كتب التعليم القديمة والتي عفا عليها الزمن في أسلوبها ولغتها ونصوصها المستقاة من كتب التراث والتي تمتاز بالتعقيد والبعد عن روح العصر بحيث تنفّر الدارس وتبعده عن الهدف. وهكذا بدأت تظهر إلى الوجود مناهج جديدة لتعليم العربية تعتمد أساليب حديثة باستخدام الوسائل السمعية البصرية، من خلال نصوص وتمارين تعبر عن حياة العرب المعاصرين واستخدام مفردات حديثة ومعاصرة ومبسطة إلى حد ما مستقاة من اللغة الصحفية المبسطة وخاصة في المستويات البدائية.

«ومن المفيد أن نذكّر بدور مدارس اللغات الرسمية في إسبانيا والتي بها أقسام للغة العربية وتعد اليوم بالعشرات. تركز تلك المدارس على تعليم اللغة العربية للتواصل ولا تصر كثيرا على تعلّم قواعد النحو والصرف. لكن هذا لا يعني بأن الطلاب يكونون بعيدين تماما عن طبيعة المجتمع العربي ونتاجاته الأدبية والثقافية لأن الكثير من الأساتذة يتعرضون لتلك المظاهر ولو بإيجاز. يقضي الطالب فيها خمس سنوات ويدرس خمس ساعات أسبوعية تمنحه في النهاية الكفاءة اللازمة للتحدث بالعربية بصورة معقولة»(Saleh، 2000: 238)

ومن جهة أخرى، تعمل الجامعات الإسبانية على منح شهادة الليسانس (البكالوريوس) في اللغة العربية وآدابها، حيث توجد ثماني جامعات رسمية بها هذا



الاختصاص موزعة على الخريطة الإسبانية. ففي مدريد جامعتان تقومان بتعليم هذا الاختصاص وجامعات أخرى في مدن برشلونة وأليكانتي وغرناطة وإشبيلية وقادش وسلامنكا.

وتمتاز دراسة فقه اللغة العربية في الجامعات بكونها لا تقتصر على تعليم اللغة بل تتسع لتشمل علوم الصرف والنحو وتتعرض للأدب العربي والتاريخ والفلسفة وما إلى ذلك مما يجعل الساعات المخصصة للعربية أقل مقارنة مع مدارس اللغات. والهدف كما هو معلوم هو أن يتخرج الطالب وهو يلمّ بجوانب من تاريخ العرب والمسلمين وثقافتهم بشكل عام.

وفي عام 2006 تم إنشاء البيت العربي في مدريد وهو مؤسسة تعود لوزارة الشؤون الخارجية والتعاون الإسبانية وتقوم بأنشطة كثيرة كإقامة الندوات والدورات والمحاضرات وعرض الأفلام السينمائية، بالإضافة إلى تدريس اللغة العربية. هناك خمسة مستويات تعليمية وكورسات صيفية ودورات متخصصة مثل عربية الصحافة أو الاقتصاد وغير ذلك، وتتم الدراسة بواسطة مناهج حديثة تعتمد الوسائل السمعية البصرية.

وفيما يتعلق بالمناهج الحديثة المستعملة في إسبانيا لتعليم العربية، فقد بقي لسنوات طويلة منهج «من الخليج إلى المحيط» الذي تم إنجازه في بيروت في جامعة القديس يوسف، المنهج الأكثر استعمالا في معظم مراكز تعليم العربية سواء منها الجامعات أو مدارس اللغات أو المراكز الأهلية التي تكثر أيضا في المدن الكبيرة مثل مدريد وبرشلونة. ويضم هذا المنهج كتابين للطالب كجزء أول وجزء ثان، ولكل جزء كتاب للمعلم. ويشتمل على أشرطة كاسيت لسماع الحوارات المختلفة في كل وحدة من الوحدات، وكذلك مجموعة من السلايدات (الصور الثابتة). وقد تخرجت أجيال عديدة من الجامعات ومدارس اللغات والمراكز الأهلية بعد أن تعلمت التحدث بالعربية من خلال دراسة هذا المنهج.

وتلت هذا المنهج كتب أخرى ومواد جديدة منها «لنغوافون» الذي تبع الاسلوب الحديث في التعليم أيضا. واستخدم الكثير من الأساتذة مواد تعليمية موجهة للطلبة العرب مثل «افتح يا سمسم» الذي أنجزه التلفزيون الكويتي، أو «المناهل» الذي قام بإعداده التلفزيون الأردني.

ثم ظهرت مواد جديدة أخرى مفيدة لتعليم العربية مثل مجلة «مختارات» التي يصدرها معهد العالم العربي في فرنسا. وصدرت أيضا مجلة «العربية» في مدينة مالقا الإسبانية من مدرسة اللغات الرسمية في بداية التسعينيات (19931995)، ثم توقفت بعد صدور ستة أعداد منها فقط.

ثم إن الطلبة الإسبان عثروا على طريقة جديدة لتحسين لغتهم العربية بدراسة دورات سنوية أو صيفية في بلدان عربية مثل تونس والمغرب ولبنان والأردن وغيرها. فمعهد بورقيبة للغات الحية في مدينة تونس اكتسب شهرة كبيرة بين طلاب العربية في الغرب عموما وفي إسبانيا بصورة خاصة. وجامعة محمد الخامس بالرباط تقوم سنويا بتنظيم دورات دراسية وخاصة في فصل الصيف يحضرها الكثير من طلاب العربية من أوروبا وأمريكا. وتقوم بنفس النشاط الجامعة الأردنية في عمان وجامعة اليرموك في إربد. ويتكرر نفس الأمر في جامعة القديس يوسف في بيروت.

وفي السنوات الأخيرة دخلت أو نشرت الكثير من كتب تعليم العربية في إسبانيا تعتمد الطرق التعليمية الحديثة السمعية البصرية وتحاول تبسيط القواعد والصرف وتشتمل على نصوص مفيدة وقريبة من رغبات الطلاب[1]. إلى جانب تلك المناهج نشرت كتب تكميلية مثل نوادر جحا[2] المنتخبة التي تضم تمارين وشروح نحوية وصرفية، بالإضافة إلى ترجمة النصوص والاستماع إليها ضمن قرص مدمج.

وعمل بعض المستعربين على نشر قواميس عربيةإسبانية وإسبانيةعربية قدمت خدمة كبيرة لدارسي العربية من الإسبان ودارسي الإسبانية أيضا من العرب[3].

1- من بينها:

- «الكتاب الأساسي في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها» الذي قامت بنشره المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس، 1988.

- Haywood – Nahmad" .(1990) Nueva gramática árabe ."Madrid :Coloquio.
- Riloba ،Francisco" .(1973) Gramática árabe – española ."Madrid :Edi6.
- Paradela ،Nieves" .(1998) Manual de sintaxis árabe ."Madrid :UAM.
- Saleh ،Waleed4) ª ed" .(2008 .Curso práctico de lengua árabe I ."Madrid :Ibersaf.
- Saleh ،Waleed" .(2002) Curso práctico de lengua árabe II ."Madrid :Ibersaf.

2- Saleh، Waleed y Teófilo Gallega (2010). "Historias jocosas de Yuha". Madrid: Ibersaf.
Grupo Arab: W. Saleh، T. Gallega، M. Cabello، V. C. Navarro (2ªed، 2007). "Cuentos tradicionales árabes". Madrid: Ibersaf.

3- Corriente، F. (3ª ed. 1991). "Diccionario árabe – español". Barcelona: Herder.
Cortés، Julio (1996). "Diccionario de árabe culto moderno". Madrid: Gredos.

وظهرت كذلك قواميس صغيرة للجيب يقتنيها عادة الطلاب وكذا السياح الذين يقصدون البلدان العربية في سفراتهم سواء للسياحة أو للإقامة أو للعمل.

4-3- تعليم اللهجات العربية

رافق تعليم اللغة العربية الفصحى في الجامعات والمراكز الإسبانية اهتمام خاص باللهجات العربية المتنوعة. كانت اللهجة المصرية في البداية هي المطلوبة أكثر من غيرها لكونها منتشرة ومعروفة من قبل غالبية متحدثي اللغة العربية الذين ألفوا سماعها في الأفلام السينمائية والمسلسلات التلفزيونية والمسرحيات، بالإضافة إلى تواجد المواطنين المصريين في العديد من الدول العربية قصد الإقامة أو العمل. لذا فقد كانت هذه اللهجة هي الأكثر جاذبية لمتعلمي العربية من الطلاب الإسبان، خاصة بين هؤلاء الذين كانوا يتوجهون إلى مختلف المدن المصرية في فصل الصيف للدخول في كورس دراسي من أجل تقوية لغتهم العربية. ثم انصب الاهتمام بعدها على اللهجة السورية اللبنانية حيث أخذ الطلب يزداد عليها قبل بدء الانتفاضات الشعبية في 2011.

غير أنه قد أصبحت في السنوات الأخيرة لهجات شمال أفريقية وخاصة اللهجة المغربية هي الأكثر استقطابا للطلبة بسبب قرب المغرب جغرافيا من إسبانيا ولوجود ما يزيد على مليون مواطن من أصول مغربية يقيمون في إسبانيا. لذا فقد دخل تعليم هذه اللهجة إلى المناهج الدراسية في بعض الجامعات التي لديها اختصاص في الدراسات العربية مثل جامعة أوتونوما وكومبلتنسي بمدريد وجامعة غرناطة وأليكانتي.وأصبحت مادة اختيارية في جامعات أخرى ليس بها هذا الاختصاص مثل جامعة مرسية. ويقوم البيت العربي الذي سبق ذكره بإعطاء دروس في عدة مستويات بالدارجة المغربية وتلقى استقبالا حسنا من الطلاب خاصة وأن بعض تلك الدروس تكون أيام السبت لمنح الفرصة لهؤلاء الذين لا تسمح لهم ساعات العمل لحضور مثل هذه الدروس أيام الأسبوع الأخرى.

وتخصص عدد من المدرسين بتعليم الدارجة المغربية، بعضهم من أصول مغربية والبعض الآخر من الإسبان الذين درسوا أو أقاموا في المغرب لفترات طويلة وأصبحوا يجيدون اللغة المحكية لهذا البلد. وعمل بعضهم على تهيئة ونشر كتب

ومناهج لتعليمها، وازداد الطلب على تعلمها من طرف طلاب العربية[1]. ومن الجدير بالذكر أن الهدف من تعلم الدارجة المغربية يكون أحيانا بدافع اقتصادي أو تجاري لكون بعض المتعلمين يعملون في هذه الميادين وتربطهم بالمغرب علاقات تجارية لأن الكثير من الشركات والمصالح الإسبانية نقلت أنشطتها إلى هذا البلد الجار بسبب الأزمة الاقتصادية التي ما زالت تعصف بدول المجموعة الأوروبية منذ سنة 2008. لذا فقد وجدت بعض رؤوس الأموال الإسبانية ملاذا في المغرب لتنمية اقتصادها وتحقيق بعض الأرباح والتي لم يعد من السهل كسبها في إسبانيا.

4-4- تعليم العربية والدارجة المغربية لأبناء جالية المغرب

اهتمت الجهات الرسمية الإسبانية بتوفير إمكانية دراسة العربية الفصحى والدارجة المغربية لأبناء هذه الجالية الذين قدموا من بلادهم أو الذين ولدوا في إسبانيا ولم يحالفهم الحظ بالتحدث أو الاستماع إلى الفصحى أو العامية المغربية إلا بصورة ضيقة لا تتعدى الاستعمال المنزلي في حدود العائلة. ونفس الأمر ينطبق على البالغين الذين جاؤوا إلى إسبانيا للعمل ولم يعودوا يستعملون العربية سواء الفصيحة أو العامية إلا في نطاق محدود. لذا فقد عملت وزارة التربية الإسبانية على تأهيل مدرسين في المدارس الابتدائية والثانوية لإلقاء دروس اللغة العربية على هؤلاء الطلاب من أجل الحفاظ على لغتهم الأم. وقامت أيضا بعض الهيئات الرسمية والبلديات بتنظيم دورات لتعليم العربية للبالغين من العمال والعاملات والعاطلين وربات البيوت. ويأتي ذلك تلبية لطلب إدارة الاتحاد الأوروبي الذي ينصح البلدان الأعضاء بتنظيم دورات دراسية عاجلة لتعليم لغة وثقافة البلد الأصلي ضمن المناهج الدراسية وبالتعاون مع بلدان قدوم المهاجرين.

وترمي تلك المحاولات إلى إيجاد جو من التلاقح الثقافي والثراء اللغوي ولكي لا يفقد المهاجرون لغاتهم الأصلية وأحد أهم عناصر هويتهم الخاصة.

١- منها:

Moscoso García، F. y Rodríguez García، O. (2013).بشويّة بشويّة "Un manual A1 para el aprendizaje del árabe marroquí". Almería: Albujayra.

Herrero Muñoz - Cobo، B. (2011). "¡Habla árabe marroquí¡ Método para principiantes". Madrid: Ibersaf.

ومن المعلوم أ
بداية التسعينيات
العائلي ساعد عا
العاملين في هذا ا
ومع أن غالبية ا
الإسبانية، فقد بر
ويرى الكثير
يساعد على التعا
التي تدخل ضم
أن يرى التلميذ
تقبل خصوصيته
التي ستكون لغ
أحد أهمية دور
الدراسية، فبدو
وقد يكون م
المؤسسات الإس
للطلاب المنتمير
الأوروبية.
ولا تخلو ال
الدروس مع تق
الآباء مثلا على
بأن مثل هذه ا
الحالات تبذل
بالتلاميذ ولا ت

ومن المعلوم أن أعداد المهاجرين المغاربة إلى إسبانيا بدأت بالتزايد اعتبارا من بداية التسعينيات حيث عرفت تلك الفترة ازدهارا اقتصاديا. ثم إن قانون لم الشمل العائلي ساعد على قدوم الآلاف من الأطفال والنساء للالتحاق بمعيليهم من العاملين في هذا البلد. وأدى ذلك إلى ظهور الحاجة إلى تعليم هؤلاء القادمين الجدد. ومع أن غالبية الأطفال انضموا إلى المدارس الإسبانية وأخذوا يتكونون باللغة الإسبانية، فقد برزت ضرورة تعليمهم اللغات الأصلية لبلدانهم.

ويرى الكثير من المختصين أن تمسك المهاجرين بلغاتهم الأصلية أمر إيجابي يساعد على التعايش الثقافي في الأقسام الدراسية من خلال ممارسة بعض الأنشطة التي تدخل ضمن التنوع الثقافي الذي يثري العلاقات الانسانية. ويؤدي أيضا إلى أن يرى التلميذ المغربي في هذه الحالة عناصر هويته الأصلية أمرا إيجابيا يساعده على تقبل خصوصيته بشكل طبيعي. وكل ذلك يتم بموازاة تعلم التلميذ للغة الإسبانية التي ستكون لغته الأساسية لدراسة معظم المواد الدراسية الأخرى. ولا يغيب على أحد أهمية دور المدرسين والآباء لتحقيق الأهداف المرجوة من تلك الكورسات الدراسية، فبدونهم يصعب التقدم وتتعثر العملية التعليمية.

وقد يكون من المفيد التذكير بأنه تم التوقيع على عدد من الاتفاقيات الثقافية بين المؤسسات الإسبانية والمغربية من أجل تسهيل تعليم اللغة العربية والثقافة المغربية للطلاب المنتمين إلى الجالية المغربية وذلك لتنامي أعدادهم قبل الأزمة الاقتصادية الأوروبية.

ولا تخلو العملية التعليمية من بعض المشاكل حيث تصطدم مضامين بعض الدروس مع تقاليد ومعتقدات العوائل التي ينتمي لها بعض التلاميذ. يعترض بعض الآباء مثلا على دروس الموسيقى أو دروس التربية الرياضية للفتيات لاعتقادهم بأن مثل هذه المواد تتناقض مع العادات الاجتماعية التي تربوا عليها. وفي مثل هذه الحالات تبذل المراكز التعليمية جهودا من أجل التوصل إلى حلول منطقية لا تضر بالتلاميذ ولا تضع عوائلهم في مواقف محرجة.

5- التصورات الشعبية عن اللغة العربية

نشرت إحدى الصحف اليومية الإسبانية بتاريخ[1] 31 مارس 2014 مقالا تتحدث فيه عن مستوى الصعوبة في تعلم اللغات بالاعتماد على دراسة قام بها معهد الخدمات الخارجية لحكومة الولايات المتحدة الأمريكية والتي صنّفت العربية في المستوى الأول من حيث التعقيد. وتكمن صعوبة هذه اللغة حسب الدراسة في قلة المفردات التي تتشابه مع مثيلاتها في اللغات الأوروبية، وفي قلة استخدام اللغة المكتوبة للحركات مما يؤدي إلى صعوبة في القراءة.

وتحتل اللغة العربية حسب معلومات المعهد المذكور قمة الهرم في الصعوبة، وهي بحاجة إلى 2200 ساعة للتمكن منها بشكل أساسي. تليها في الصعوبة حسب هذا المصدر الصينية واليابانية والكورية. في حين أن لغات مثل الفنلندية أو الكرواتية أو الهنغارية أو التشيكية أو التركية أو الفيتنامية تحتاج إلى نصف عدد تلك الساعات، أي 1100 ساعة. وأخيرا فئة اللغات التي تعد سهلة ولا تحتاج سوى 600 ساعة لتعلمها مثل الدنماركية والفرنسية والإيطالية والإسبانية والبرتغالية والرومانية.

وفيما يخص ترجمة اللغة العربية إلى لغات أخرى يتحدث أحد المواقع المهتمة بالثقافة العربية[2] عن الصعوبات التي ترافق عملية الترجمة هذه. يعلل الموقع ذلك بالقول إنّ اللغة العربية لغة غنية ومرنة وبها الكثير من المترادفات، وإنّ لكل كلمة معنى محددا وآخر مجرّد مما يجعل ترجمتها ذات احتمالات عديدة. من ناحية أخرى تعدّ العربية لغة رياضية لوجود جذر ثلاثي تُشتق منه الأسماء والصفات حيث يبعد إمكانية الخطأ. ويورد الموقع أيضا أسبابا أخرى للدلالة على صعوبة العربية ومنها عدم وجود تركيب خاص للمبني للمجهول وعدم استخدام فعل الكينونة كما هو الحال في اللغة الإسبانية.

ويتساءل موقع إلكتروني آخر[3]: ما مستوى صعوبة اللغة العربية؟ وفي جوابه ينصح بالتخلي عن الأفكار المسبقة الخاصة بهذه اللغة ويؤكد على أنّ قواعد العربية

1- http://www.abc.es/sociedad/20140331/abci-lenguas-dificultad-201403281938.html (Consulta: 29/12/2016)

2- http://paginasarabes.com/2013/06/12/traducir-la-lengua-arabe-dificultades-tecnicas/ (Consulta: 29/12/2016)

3- http://www.superprof.es/blog/dificultad-lengua-arabe/ (Consulta: 29/12/2016)

بها من الشواذ أقل
هو أمر نسبيّ حسب
ويقوم موقع ثان
على هذا السؤال الذ
يكون جوابهم بالإي
صعبة وإنما هي بح
الحركات في الكتاب
الأوروبية.
وتحت عنوان
المواقع الإلكترونية
وأن هناك فرقا بير
الكثير في الغرب،
للكون ولجميع المع
للتشدد الإسلامي
ليس دليلا على الخ
تتميز صورة ا
الواقع التاريخي و
اللاتينية أو الإغر
الإسلامي حيث
صعبة يكاد يكون
المختصين. وتنقص
تنتشر بين الع
الفصحى لغة مص

s-de-estudio/ (Con-

populares-sobre-la-

بها من الشواذ أقل مما يوجد في اللغة الإسبانية. ويرى بأن سهولة أو صعوبة لغة ما هو أمر نسبيّ حسب الوقت والجهد الذي يبذله المتعلم في دراسته.

ويقوم موقع ثان بطرح سؤال[1]: هل من الصعب تعلّم العربية؟ ويأتي جوابه على هذا السؤال الذي يتكرر باستمرار فيقول: غالبية الذين يجيبون على هذا السؤال يكون جوابهم بالإيجاب دون أن يتجشموا عناء تجربة ذلك شخصيا. فالعربية ليست صعبة وإنما هي بحاجة إلى وقت أطول لتعلمها لخصوصية أصواتها وعدم استخدام الحركات في الكتابة عادة واختلاف قواعدها ومفرداتها وانعدام صلتها باللغات الأوروبية.

وتحت عنوان «تفكيك أساطير شعبية عن الثقافة واللغة العربيين» يؤكد أحد المواقع الإلكترونية[2] على أن العربية تكتب بحروف وليس برموز كما يعتقد البعض، وأن هناك فرقا بين العربية والإسلام، لأن الأولى لغة والثاني دين وهو ما يخلطه الكثير في الغرب، وبأن كلمة الله لا تقتصر على الإسلام لأن المسلمين يعتبرون الله ربا للكون ولجميع المعتقدات والأديان. كما أن البسملة في رأي هذا الموقع ليست علامة للتشدد الإسلامي، بل هي عبارة لها استعمالات كثيرة كلها سلمية. وحجاب المرأة ليس دليلا على الخضوع للرجل.

تتميز صورة اللغة العربية في ذهن بعض الطبقات الشعبية الإسبانية ببعدها عن الواقع التاريخي واللغوي والثقافي لهذه اللغة. فهي لغة شبيهة باللغات الميتة مثل اللاتينية أو الإغريقية القديمة، وهي في أفضل الأحوال لا تتعدى كونها لغة الدين الإسلامي حيث تقتصر على أداء دور طقوسي في المساجد ودور العبادة. وهي لغة صعبة يكاد يكون من المستحيل التحكم بها والإلمام بجميع تفاصيلها حتى من طرف المختصين. وتنقصها أحيانا دقة التعبير حتى يمكن أن يُفهم منها الشيء وضده.

تنتشر بين الطبقات الشعبية وبعض طبقات المتعلمين فكرة أن اللغة العربية الفصحى لغة مصطنعة، وأنها ليست اللغة الأم لأي شعب من الشعوب العربية.

1-http://aprendiendoarabe.com/es-dificil-aprender-arabe-requiere-mas-horas-de-estudio/ (Consulta: 29/12/2016)

2- https://elartedetraducir.wordpress.com/2012/04/10/desmontando-mitos-populares-sobre-la-cultura-y-lengua-arabes-breves-apuntes/ (Consulta: 29/12/2016)

يحسبون أن التلاميذ العرب الذين يدخلون لأول مرة إلى المدرسة يواجهون صعوبة كبيرة في تعلم الفصحى لكونها لغة جديدة لم يستمعوا إليها إلا نادرا وأن لهم لغاتهم الأم وهي العامية التي يتحدثون بها في منازلهم. ومن هنا كثرت الدعوات في الغرب ومن ضمنها إسبانيا إلى إحلال اللهجات العربية المحلية محل العربية الفصحى.

والفكرة الأخرى المنتشرة بين الأوساط العامية هي أن اللغة العربية تتميز بصعوبات كبيرة وأن تعلمها إن لم يكن مستحيلا فهو يحتاج إلى جهود جبارة وسنوات طويلة تفوق طاقة الإنسان العادي. فتعلمها حسب هذا الرأي بطيء جدا والتعود على كتابتها شاق وعسير. يرى البعض بأن تشابه رسم بعض الحروف وتمييز بعضها عن بعض من خلال النقاط أمر شديد التعقيد. فالتفريق بين الباء والنون والتاء والثاء والياء، وكذا الجيم والحاء والخاء في نظر هؤلاء مهمة مكلفة ومتعبة. وتشمل هذه النظرة الأوساط الشعبية والكثير من المتعلمين وخاصة هؤلاء الذين يواجهون تعلم العربية لأول مرة. فهم لا يصدقون أنفسهم عندما يرون بأن تعلم حروف العربية لا يستغرق في الواقع سوى بعض الأسابيع.

ليس هناك من يشك في أن العربية كغيرها من اللغات لها تعقيداتها، ويعاني المتعلمون الأجانب من بعض تلك الصعوبات مثل عدم قدرتهم على التفريق بين أسماء الأعلام والأسماء أو الصفات في النصوص. ففي اللغات الأوروبية تكتب الأعلام بحروف كبيرة (capital letters) وباقي الأسماء بحروف صغيرة (small letters)، وهذا غير وارد في العربية. وتكثر الشكاوى أيضا من بعض جوانب النحو العربي الذي لا يسير على قاعدة تضبط أركانه بوضوح مثل جمع التكسير أو مصادر الأفعال الثلاثية. وهناك صعوبة من استخدام صيغة المثنى وقواعده لكونه غير موجود أيضا في لغاتهم الأمّ. وحتى الحروف التي لا يزيد عددها على الثمانية والعشرين، فيراها البعض في غاية التعقيد لكون رسم بعضها يختلف حسب موقعه من الكلمة، أي إذا وقع في أول الكلمة أو وسطها أو في آخرها.

لذا فإنه ليس من المستغرب أن نعثر على معلومات عن العربية في شبكات التواصل الاجتماعية بعناوين مثل: كيف يمكنك أن تتعلم العربية دون أن تقضي نحبك في المحاولة؟[1] في موقع بعنوان «فن الترجمة» ترد فكرة أنّ ما يتعلمه الطالب

1-https://elartedetraducir.wordpress.com/2011/06/26/como-estudiar-arabe-sin-morir-en-el-intento/ (Consulta: 29/12/2016)

في قاعة الدرس لا صلة له من قريب أو بعيد بالواقع اللغوي الذي يعيشه الشارع العربي بسبب الازدواجية اللغوية التي تختلف حسب البلدان العربية. ويشكو الموقع أيضا من قلة المناهج الجيدة المحررة باللغة الإسبانية لتعليم العربية. ويؤكد أيضا على أن مجرد تعلم الحروف يستغرق ما بين شهرين إلى ثلاثة أشهر

ويستغرب البعض ويتساءل كيف لا يتم إنشاء معهد عربي على المستوى الدولي لتعليم هذه اللغة شبيه بالمعهد البريطاني أو المعهد الفرنسي أو معهد سربانتس لتعليم الإسبانية. وكل هذه المعاهد، كما نعلم، لها مراكز في أغلب دول العالم ومنها الدول العربية ترمي إلى تعليم لغات هذه البلدان.

ونود أن نشير هنا إلى أن العربية يتم تعليمها في المدارس الإسبانية الموجودة في المغرب، ونعني بها المدارس الابتدائية والثانوية التي تقدم خدماتها التعليمية سواء للطلبة الاسبان المقيمين بالمغرب أو الطلبة المغاربة الذين يدرسون في تلك المعاهد. وهي موجودة في عدد من المدن المغربية مثل طنجة وتطوان والرباط والدار البيضاء وغيرها.

وهناك من يتبرم من عدم توفر منهجية واضحة ومتكاملة لتعليم العربية مثلما يجري في تعليم اللغات الأوروبية. ويرى البعض ايضا بأن الحركات تشكل عنصر صعوبة إضافيا تصعب القراءة بدونها وخاصة في بدايات التعلم.

وتشغل ازدواجية اللغة وتعايش العربية الفصحى مع العاميات حيزا كبيرا في التصور الشعبي والرسمي على السواء. يقول المستعرب «فيديريكو كورينتي» في مقدمة كتابه «قواعد العربية»: «من المعروف أن في العالم العربي ازدواجية لغوية. تُستخدم اللغة الفصحى في المواقف التقليدية الرسمية وهي ليست اللغة الأمّ لأي أحد حيث يتعلمها التلاميذ في المدارس، بينما يتم استخدام مختلف العاميات في الحياة اليومية وتشكل كل واحدة منها اللغة الأم للمتحدثين بها. (...) ومعرفة مستويي اللغة الفصيح والعاميّ تؤدي إلى التعرف على الواقع اللغوي العربي، وذلك لأن متحدث العامية لوحدها لن يجد طريقا للاطلاع على النصوص المكتوبة ولا يمكن له أن يفهم المواقف الرسمية ولا الاستعارات التي يستقيها متحدث العامية من العربية الفصحى. وعلى عكس ذلك فإن متحدث الفصحى فقط لا يمكنه أن يفهم حوارا بين عربيين، وليس بإمكانه أن يستخدم ما تعلمه مع شخص عربي كما لو كان ما تعلم

لغة ميتة في حين أن الأمر ليس كذلك. لذا فإن المعرفة المتوازنة للواقع اللغوي العربي تقوم على القدرة على قراءة اللغة الفصحى والحديث بإحدى العاميات العربية وهو ما يعرف باللغة الوسطى أو لغة المثقفين» (Corriente، 1984: 9-10)

وبالغ البعض في الحديث عن الازدواجية اللغوية في العربية معتبرا الصلة بين اللغة الفصيحة والعاميات العربية منقطعة تماما. ويعتبر البعض كل واحدة من العاميات لغة مستقلة، حتى أن بعض الدارسين أصبح يصنفها بصورة لغات مستقلة اللهجات المتنوعة في نفس البلد العربي. ونجد اليوم من يعتبر لهجة مدينة مراكش لغة وكذا لهجة الدار البيضاء أو طنجة أو وجدة. ونفس الشيء ينطبق على اللهجات المصرية، فهي حسب هذا المنطلق لغات، فلغة القاهرة ولغة الصعيد ولغة سيناء وهكذا.

5-1- تفنيد الأوهام الخاصة بالعربية [1]

لا بد من تكاتف الجهود سواء من قبل الجهات الرسمية المسؤولة أو من المدرسين ومراكز التعليم والجامعات من أجل دحض التصورات الشعبية المنتشرة في إسبانيا عن اللغة العربية. ومن الضروري تقريب هذه اللغة من مختلف الطبقات الشعبية وخاصة بين من لديهم رغبة في تعلمها من أجل استخدامها وسيلة للولوج بها إلى الثقافة العربية والحضارة الإسلامية.

وأدركت مؤسسة مثل البيت العربي هذه المهمة التي عبّرت عنها في موقعها الرسمي إذ ورد ما يلي: «تعتبر اللغة العربية إحدى الوسائل الهامة للتعرف على العالم العربي والإسلامي عن قرب، وتقديراً منا لهذه الأهمية، جعلت مؤسسة البيت العربي منذ إنشائها سنة 2006 تعليم اللغة العربية أحد الأركان الأساسية المعتمد عليها، وأدرجتها في جدول اعمالها منذ ذلك الحين، وذلك علما منا بالواقع اللغوي في العالم العربي وبوجود اللغة العربية في بلدنا. فمنذ البداية عملنا على تقديم خدماتنا التعليمية من خلال مركز اللغة العربية الذي يقدم دروسا في اللغة العربية المعاصرة والدارجة المغربية. وفي سنة 2012 بدأنا بإعطاء دروس في اللهجة

1- انظر مقالنا المعنون: صالح، وليد «العناصر الاجتماعية والثقافية في تعليم العربية». المنشور في:
Saleh، Waleed (2014)."Arabele 2012: Enseñanza y aprendizaje de la lengua árabe". Murcia: edit.um. pp. 99-113.

المصرية والسوريا
الشركات وبعض
من 14 سنة، وتعد
في شهر يونيو). أ
مع العمل التعليم
بتدريس اللغة ال
تكوين الأساتذة ،
يجدر بنا الإشارة إ
المؤتمر الدولي الخا
فليس من الس
كغيرها من اللغا
نما وترعرع في حـ
بين أكثر تلك ال
عن هذه اللغة ل
وهي القرآن وا
أن تفتح بابا واس
ماهية هذا الدين
مفيدة لتكوين ال
وعند تعليمهم
لهم عن أصل ال
ولدى تعلّم الف
كلمة «قرآن» الذ
ولدى تعليمهم
أن يتحدث عن
«أنتم» في التحد
أو حضرتكِ» بد

المصرية والسورية واللبنانية والأردنية، كما برمجنا دروسا أخرى تفي بطلبات الشركات وبعض الخواص. هذه الدورات التعليمية موجهة للكبار والشباب ابتداء من 14 سنة، وتعطى بشكل دوري طوال السنة، تبدأ عادة في شهر (أكتوبر وتنتهي في شهر يونيو). أما في شهر يوليو فتعطى دروس مكثفة في اللغة العربية. بالموازاة مع العمل التعليمي، تقوم مؤسسة البيت العربي بالترويج ووضع مقاييس خاصة بتدريس اللغة العربية كلغة أجنبية ومطابقتها للمعايير الأجنبية وذلك من خلال تكوين الأساتذة وتطوير المناهج التعليمية وتنظيم المؤتمرات الدولية. في هذا السياق يجدر بنا الإشارة إلى مؤتمر «أربيلي» الذي تم تنظيمه في (2009 و 2012) بالإضافة إلى المؤتمر الدولي الخامس للدارجة المغربية سنة (2012)»[1].

فليس من السهل عزل اللغة العربية عن إطارها الاجتماعي والثقافي. فهذه اللغة كغيرها من اللغات يحمل كيانها رصيدا كبيرا من التراث الحضاري والإنساني الذي نما وترعرع في حضن هذه اللغة والتي أصبحت أكثر ثراء لتمثيلها هذا التراث. ومن بين أكثر تلك العناصر حضورا وتأثيرا هو الدين الإسلامي والذي يصعب فصله عن هذه اللغة لكونها اللغة الرسمية لهذا الدين ولغة التعبير لنصوصه التأسيسية وهي القرآن والحديث النبوي. فعبارة التحية الإسلامية «السلام عليكم» يمكن أن تفتح بابا واسعا أمام المدرس للحديث مع طلابه من غير الناطقين بالعربية عن ماهية هذا الدين وتاريخه وطقوسه وعدد المسلمين في العالم وغير ذلك من معلومات مفيدة لتكوين الطلاب.

وعند تعليمهم الأعداد الأولية من صفر إلى عشرة، يمكن للمدرس أن يتحدث لهم عن أصل الصفر واختراعه من قبل العالم الخوارزمي الذي اكتشف علم الجبر. ولدى تعلّم الفعل «قرأ» يستطيع المدرس إيراد بعض مشتقات هذا الفعل ومنها كلمة «قرآن» الذي سمي بذلك لكونه كتاب القراءة والحفظ الأول لدى المسلمين. ولدى تعليمهم الضمائر المنفصلة (أنا نحن أنتَ أنتِ أنتما أنتم...) يمكن للمدرس أن يتحدث عن بعض الاستعمالات الخاصة لتلك الضمائر مثل استعمال ضمير الجمع «أنتم» في التحدث مع المفرد بدافع المجاملة والاحترام. أو استخدام كلمة «حضرتكَ أو حضرتكِ» بدلا من «أنتَ وأنتِ».

1- http://ar.casaarabe.es/p/ (Consulta: 29/12/2016)

5-2- معالجة الأفكار والأحكام النمطية المسبقة

سبق وأن رأينا الكثير من الآراء المنحرفة عن اللغة العربية في إسبانيا سواء من قبل مدرسيها الأوائل الذين انصب اهتمامهم على تأريخ الأندلس وتعاملوا مع العربية وكأنها لغة ميتة، أو من طرف الطبقات الشعبية التي تمتاز نظرتهم لهذه اللغة بعدم الدقة والغموض والصور المشوهة. وعليه فمن الضروري التعرض لتلك المعلومات الخاطئة ومحاولة تصحيحها إحقاقا للحق ومن أجل وضع الأمور في نصابها.

إن خير ما يمكن أن يتعلمه الطالب الذي يدرس لغة ثانية هو أن تصبح لديه قدرة على التمييز والتفريق بخصوص الأفكار والأحكام العامة التي تطلق وتتكرر فيما يتعلق بثقافة تلك اللغة. ولا يكون ذلك إلا من خلال تملكه لأدوات التحليل الذكي والدقيق للأخبار والمفاهيم والنصوص وغير ذلك من أجل الاقتراب أكثر فأكثر من حقيقة تلك المعلومات وواقع تلك المجتمعات التي يتم التحدث عنها في كل تلك الوثائق. وليس هناك أي شكّ في أن العناصر الاجتماعية والثقافية التي يتعرف عليها الطالب من خلال مختلف الوسائل التعليمية ترمي إلى جعل الطالب على اتصال مباشر بثقافة المجتمع الذي يتحدث اللغة المتعلمة كلغة أمّ. ومن الضروري أيضا ألا يصبح الطالب مجرد متلق للمعلومات، بل لا بد من تنمية الحس النقدي لديه لكي يتمكن من التمييز بين الغث والسمين، بين ما هو واقع وما هو مزيف وكاذب.

وتكثر ربما الأخبار الصحفية التي تروج لبعض الأفكار النمطية بخصوص بعض الثقافات ومنها العربية، لذا فإن تلك الأخبار والتقارير تكون مادة ملائمة للدرس والتحليل والنقاش مع الطلاب وتوضيح المفاهيم المبهمة والجوانب الواقعية والمزيفة التي تظهر في تلك الوثائق.

5-2-1- دور المدرس وتكوينه

لا بد للمدرس من أن يكون ملما بثقافة اللغة التي يقوم بتعليمها، عارفا بدقائق أخبار التاريخ، مطلعا عن كثب على المجتمعات التي تتحدث بهذه اللغة سواء أكان من المتحدثين بالعربية كلغة أمّ أم لم يكن، وذلك لأنه ليس كل أبناء لغة ما حتى وإن كانوا مدرسين لها يعرفون بشكل عميق تاريخها وتراثها واستعمالاتها وتفاصيلها. وعليه فإن سعة اطلاع المدرس على جوانب اللغة المختلفة ضروري تماما لكي

يستطيع أن ينقل
والأمر الثاني
التدريس، ويستح
كيف يبدأ وكيف
التدريس كغيرها
وأخيرا فإنه م
وهذا العنصر الأ
الطلاب، إذ بدو
وخاصة فيما يتعل

6- خاتمة

عندما حلّت
من البربر وهم
وصلت تباعا ك
العربية تنتشر شب
صارت بمرور ال
ولغويون مثل أبي
هذه البقاع. وكا
لهم مرجعا مهما
كانت اللاتين
سكان شبه الجزي
البربرية. وتأثر
الاستعمال اليوم
أحسن تصوير.
ونتيجة لهذا
Mozárabe. و
المسيحية. حافظ

يستطيع أن ينقل معارفه تلك للطلاب الذين يدرسون على يديه.

والأمر الثاني المهم لمدرس العربية لغير الناطقين بها هو معرفته الجيدة لطرق التدريس، ويستحسن أن يكون ذا خبرة في هذا الميدان لكي يحسن في تقديم دروسه: كيف يبدأ وكيف يفسر ويشرك الطلاب في الحوار والشرح وكيف ينتهي. وطرق التدريس كغيرها يمكن تعلمها ودراستها ثم صقلها من خلال العمل والتجربة.

وأخيرا فإنه من اللازم أن يتصف المدرس بالالتزام والتوازن في فكره وفي عمله. وهذا العنصر الأخير يعد أساسيا في عمل المدرس لكي تكون لديه مصداقية أمام الطلاب، إذ بدونها يصعب عليهم الاقتناع بآرائه وقبول تعليماته، وهو أمر مهم وخاصة فيما يتعلق بتعليم العناصر الاجتماعية والثقافية الخاصة باللغة العربية.

6- خاتمة

عندما حلّت الجيوش الإسلامية بأرض الأندلس عام 711 م. كان معظم جنودها من البربر وهم السكان الأصليون لبلاد المغرب. غير أن الموجات اللاحقة التي وصلت تباعا كانت تنتمي إلى القبائل العربية باليمن والشام. لذا أخذت اللغة العربية تنتشر شيئا فشيئا في هذه الربوع بعد أن أصبحت اللغة الرسمية للبلاد ثم صارت بمرور السنين لغة الثقافة والعلم والمعرفة. وساهم في نشرها علماء ومفكرون ولغويون مثل أبي علي القالي القادم من بغداد حيث نقل الكثير من العلم المشرقي إلى هذه البقاع. وكان لكتابه «الأمالي» أثرا كبيرا بين النحويين وعلماء اللغة بحيث صار لهم مرجعا مهما لدراساتهم وبحوثهم.

كانت اللاتينية إلى جانب اللغات الرومانسية المنبثقة من تلك هي المعروفة بين سكان شبه الجزيرة الإيبيرية. وسرعان ما اختلطت هذه الأخيرة بالعربية وباللهجات البربرية. وتأثرت أيضا العربية الأندلسية باللغات الرومانسية وانعكس ذلك في الاستعمال اليومي لها وكذا في النتاج الأدبي الذي تصوره الموشحات والأزجال أحسن تصوير.

ونتيجة لهذا الاختلاط ظهرت أيضا لهجة جديدة خاصة بالمستعربين تدعى Mozárabe. وهؤلاء السكان الذين كانوا يتحدثون بها كان أغلبهم يدين بالديانة المسيحية. حافظ هؤلاء إلى حد كبير على لغاتهم الأصلية الرومانسية والتي استمر

التحدث بها وكتابتها بالحروف العربية حتى نهاية القرن الحادي عشر. وكانت أيضا تستخدم من قبل المولدين، وهم الذين أسلموا بعد تخليهم عن المسيحية. أما الأعجمية فكانت لغة المورسكيين المسلمين الذين كانوا يدونون نصوصهم باللغة الإسبانية لكن مكتوبة بحروف عربية. وهناك أكثر من رأي بخصوص هذه الظاهرة حيث يرى البعض بأنّ المورسكيين لجأوا لذلك لضعف معرفتهم بالعربية. ومن يرى بأنهم كانوا يفعلون ذلك لتفادي المراقبة والمتابعة من قبل رجال الكنيسة الذين منعوا كل ما له صلة بالإسلام.

وإذا وصلنا إلى العصر الحديث، نرى بأن إسبانيا أهملت إلى حد بعيد تعلّم وتعليم العربية. كان بعض رجال الدين المسيحي في البداية يتعلمونها بهدف التعرض للإسلام ومفاهيمه ودحض معتقداته. ثم أصبحت أداة للتعرف على تأريخ الأندلس لا غير، عندما قام أساتذة الجامعات في أوائل القرن الماضي بدراستها وتأليف كتب لتعليمها. وبدأ الاهتمام بالعربية يزداد بالتدريج بعد أن تقوت العلاقات الثقافية والتجارية بين إسبانيا والعالم العربي. وظهرت الكثير من المراكز الرسمية والأهلية والجامعات التي أدخلت ضمن برامجها تعليم العربية. كما ازداد الاهتمام باللهجات العربية ونمت أعداد الطلاب الدارسين لمختلف تلك اللهجات وخاصة اللهجة المغربية بسبب قرب البلدين من بعض وكثرة المهاجرين المغاربة في إسبانيا وانتقال الكثير من الإسبان إلى المغرب للإقامة أو للعمل.

أما التصورات الشعبية الإسبانية عن العربية فإنها تعتمد على السماع أكثر مما هي على التجربة والمعرفة المباشرة. فالصورة الأكثر شيوعا هي أن العربية لغة عقيمة ومعقدة وصعبة التعلم إن لم نقل مستحيلة. وغالبية الإسبان يعتقدون بأنه لا فائدة من تعلم العربية في المراكز الرسمية لأنها تعلم الفصحى وهي في نظر هؤلاء لا يتحدث بها أحد وهي ليست اللغة الأم لأي عربي. ويذهب الاعتقاد السائد إلى أن هناك قطيعة تامة بين الفصحى والعاميات العربية. ويشك الكثيرون بإمكانية تعلم الحروف العربية لاعتقادهم بأن ذلك ضرب من المستحيل. ويتساءل البعض عن الإهمال الذي تعاني منه اللغة العربية من قبل حكومات الدول العربية التي لا تشجع على تعلمها في الخارج من خلال إنشاء معهد رسمي لذلك كما هو الحال مع المعهد البريطاني أو الفرنسي أو معهد سربانتس لتعليم الإسبانية.

وأخيرا، لا با
الجامعات العربية
هذه اللغة والنهو
ولاحتلالها المرتبة

المراجع العر

* شنوان، يوز
من التقلبات وا
الجزء الرابع.
* طاهري،
الأندلسي». همدا
الطرطوشي،
* طويل، يو
اللبناني.
* كورينطي،
المعهد الإسباني ا

المراجع الأ

ado andalusí"
"Granada :El

iglos VIII–

teral con glo-
e.
ılmana ."Ma-

rra) España:(

وأخيرا، لا بد من التأكيد على ضرورة تكاتف الجهود من خلال التعاون بين الجامعات العربية والأجنبية وعن طريق السفارات العربية في الخارج لدعم تعليم هذه اللغة والنهوض بها لتحل محلها اللائق لكونها لغة مئات الملايين من الناس ولاحتلالها المرتبة الخامسة في العالم من حيث عدد المتكلمين بها.

المراجع العربية

* شنوان، يونس (1996). «الشعر الأندلسي وشعر التروبادور» في « الأندلسقرون من التقلبات والعطاءات». الرياض: مطبوعات مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الجزء الرابع.

* طاهري، علي باقر (2012). «الدور الحضاري لأبي علي القالي في الأدب الأندلسي». همداناير ان: إضاءات نقدية، العدد السادس، حزيران، ص 119.

الطرطوشي، أبو بكر (1994). «سراج الملوك». القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

* طويل، يوسف (1991). «مدخل إلى الأدب الأندلسي». بيروت: دار الفكر اللبناني.

* كورينطي، ف. (1980). «ديوان ابن قزمانص ولغة وعروض». مدريد: المعهد الإسباني العربي للثقافة.

المراجع الأجنبية

* Ammadi ،Mustafa" .(2005) Los arabismos y el legado andalusí" en" Los manuscritos árabes en España y Marruecos ."Granada :El Legado Andalusí.

* Arié ،Rachel" .(1984) España musulmana) siglos VIII–XV"(Barcelona :Labor.

* Asín Palacios ،M" .(1959) .Crestomatía de árabe literal con glosario y elementos de gramática ."Madrid :Maestre Norte.

* Chejne ،Anwar" .(1993) Historia de España Musulmana ."Madrid :Catedra.

* El Ciego de Tudela" .(2001) Las moaxajas ."Navarra) España:(

Gobierno de Navarra – Departamento de Educación y Cultura.

* Corriente ،Federico" .(1992) Árabe andalusí y lenguas romances ."Madrid :Editorial Mapfre.

* Corriente ،Federico3) ª .(1984،Gramática árabe .Madrid :Instituto Hispano Árabe de Cultura.

* Frías Conde ،Xavier" .(2000) Algunos paralelismos evolutivos entre el árabe vulgar y las lenguas románicas "en IANUA .1 Madrid: Instituto de Estudios Románicos.

* Gómez Renau ،Mar" .(2000) La lengua aljamiada y su literatura: una variante islámica del español ."En Estudios de Literatura ،nº.25 Valladolid :Universidad de Valladolid.

* Saleh ،W" .(2000) La lengua árabe instrumento de comunicación) la enseñanza de la lengua árabe en España ،"en Actas de Expolingua.2000 París :Université París.8

* Vernet ،Juan" .(1978) La cultura hispanoárabe en Oriente y Occidente ."Barcelona :Ed .Ariel.

* Viguera ،M .J" .(2002) .Lengua árabe y lenguas románicas ."Madrid :Revista de Filología Románica.45-54 ،19 ،

***

كلمة المركز
التعريف بالمشاركين
مقدمة الكتاب
القسم الأول: مفاهي
الفصل الأول: التص
إبستمولوجية
د. منصور بن مبارك
د. عقيل بن حامد ال
الفصل الثاني: صور
ونظرية
أ.د. محمد صلاح الد
الفصل الثالث: نحو
د. أشرف عبدالحي